مفهوم الاستشراق :

لغة : مصدر مزيد من شرق وأشرق بمعنى طلب النور والهداية والضياء , والإشراق من الشرق – ولفظ مستشرق سابق للاستشراق وُسم به احد أعضاء الكنيسة .

يذهب عدد من الدارسين في ميدان الاستشراق ، إلى أن كلمة '' استشراق '' ومشتقاتها مولدة ، استعملها المحدثون من ترجمة كلمة ORIENTALISM الإنجليزية. ويرجع ظهور الاستشراق في المعجم الإنجليزي إلى سنة 1799 م ، ثم بعد ذلك صادقت الأكاديمية اللغوية في فرنسا على تداول هذه الكلمة واستعمالها في اللغة الفرنسية.

اصطلاحا:

قال رودي بارت : هو علم يختص بفقه اللغة خاصة او علم الشرق أ وعلم العالم الشرقي ,والذي اعتمد في قاموس فورد:تبخر في لغات الشرق وآدابه .

امّا عند المسلمين فيرى سعيد ادوارد : أنه أسلوب في التفكير مبني على التميّز متعلق بوجود المعرفة بين الشرق وبين الغرب .

التعريف المختار لـ :سعد الدين سيد صالح : الاستشراق هو حركة دراسة العلوم والآداب والحضارة والثقافة الإسلامية بهدف معرفة عقلية المسلمين وأفكارهم واتجاههم وأسباب تفوقهم وقوتهم لضرب هذه القوة من جهة والاستفاده من علوم المسلمينمن جهة ثانية – والتمهيد للاستعمار النصراني لدول العالم الإسلامي واخضاعها لنفوذه وسلطانه من جهة ثانية –

والاستشراق علم غربي موضوعه الشرق الواسع، أقضاه ووسطه وأدناه. والمستشرق هو الذي يهتم بدراسة لغات الإنسان الشرقي وآدابه وحضارته وديانته. غير أن الأذهان في العالم الإسلامي تنصرف غالبا ، إلى المعنى الخاص لمفهوم الاستشراق والذي يعني الدراسات الغربية المتعلقة بالشرق الإسلامي.

'' ويعرف م.أ جويدي علم الاستشراق وصاحبه قائلا : '' والوسيلة لدرس كيفية النفوذ المتبادل بين الشرق والغرب إنما هو ''علم الاستشراق''، بل نستطيع أن نقول إن غرض هذا العلم الأساسي ليس مقصورا على مجرد درس اللغات أو اللهجات أو تقلبات تاريخ بعض الشعوب كلا، بل من الممكن أيضا أن نقول إنه بناء على الارتباط المتين بين التمدن الغربي والتمدن الشرقي، ليس علم الشرق إلا بابا من أبواب تاريخ الروح الإنساني...وليس صاحب علم الشرق الجدير بهذا اللقب بالذي يقتصر على معرفة بعض اللغات المجهولة ، أو يستطيع أن يصف عادات بعض الشعوب ، بل إنما من جمع بين الانقطاع إلى درس بعض أنحاء الشرق ، وبين الوقوف على القوى الروحية الأدبية الكبيرة التي أثرت على تكوين الثقافة الإنسانية .

وجدير بالذكر أن مفهوم الاستشراق تطور تبعا لتطور العلاقة بين الشرق والغرب ، حيث بدأ هذا المفهوم يكتسي طابعا سياسيا شيئا فشيئا ، بقدر ما تقهقرت الدولة الإسلامية. فما أن أصبحت الدولة العثمانية يطلق عليها ''الرجل المريض''، حتى كانت الصورة السياسية قد تمكنت من حقيقة الاستشراق ، وحلت المؤسسات الاستشراقية التي تشرف عليها الدولة الإمبريالية محل الاستشراق الفردي. ومع أن هذا الأخير لم تكن أحكامه وفرضياته تخلو من أهواء ونزعات ذاتية، فإنه لم يكن يخضع لعملية التسييس التي فرضها منطق الاستعمار الإمبريالي. وسيسجل النصف الأول من القرن التاسع عشر دخول البحث الاستشراقي تحت هذه الهيمنة الإمبريالية. ومازال الاسشتراق يعاني إلى الآن وطأة سياسية، وتسخر أبحاثه في أغراض تخدم مصالح الإنسان الغربي المتغطرس. ولعل إدوارد سعيد الذي عمل أستاذا للأدب المقارن في جامعة بوسطن بأمريكا، من بين أحسن النقاد الذين اشتغلوا بدراسة ونقد العمل الاستشراقي، والذين أكدوا على العلاقة الوطيدة والحميمة بين الاستشراق والسياسة، يقول هذا الكاتب : '' وباختصار فإن الاستشراق يمثل أسلوبا غربيا في السيطرة، كما يعني ''إعادة تشكيل'' الشرق والهيمنة عليه. إن مفهوم الخطاب كما هو محدد عند مشيل فوكو في كتابيه ''أركيولوجية المعرفة'' و ''راقب وعاقب''، هذا المفهوم قد أفادني في تمييز ووصف الاستشراق''.

ويقول أيضا في الكتاب نفسه: '' الاستشراق هو علم الشرق الذي يضع أمور الشرق وأشياءه وفي قسم أو محكمة أو سجن أو كراسة، بهدف تحليلها أو دراستها، أو تقيميها أو مراقبتها وسياستها ''.

ويضيف قائلا : '' إن الاستشراق في نهاية المطاف رؤية سياسية لحقيقة الشرق، وبنيته تكرس الاختلاف والتباين بين الغرب والشرق، وتجعل من الغربي الإنسان القوي، لأن ثقافته هي الأقوى ولأنه يستطيع أن يلج ويكتشف سر الشرق ولغزه، ثم يمنحه الصورة المناسبة والحقيقة ''.

من ناحية أخرى فإن الشرق الذي يمثل موضوع الاستشراق، لا يمثل الصورة الحقيقية للشرق، وإنما يترجم ما هو عالق بذهن المستشرق حول موضوع الشرق. إن هذا المستشرق رهين الثقافة التي ترعرع فيها ونهل من معينها، وخاضع لتأثيرات المواقف الدينية والسياسية الغربية إزاء الشرق وحضارته، وبالتالي فليس في مقدروه أن يتناول موضوعاته دون أن يستسلم لقوة القوالب والحدود الفكرية المفروضة عليه مسبقا. وفي هذا الصدد يرى إدوارد سعيد أن الاستشراق لا يقوم على دراسة الشرق ووصفه، وإنما يقوم على استنطاقه. ومن ثم فإن المستشرق لا يهمه الشرق، إلا بقدر ما يوحي هذا الشرق من أفكار تتناسب مع ما يتصوره المستشرق عنه.

نشأة الاستشراق

اختلف الباحثون في نشأة الاستشراق في تحديد سنة معنية أو فترة معينة لنشأة الاستشراق فيرى البعض أن الاستشراق ظهر مع ظهور الإسلام وأول لقاء بين الرسول صلى الله عليه وسلم ونصارى نجران، أو قبل ذلك عندما بعث الرسول صلى الله عليه وسلم رسله إلى الملوك والأمراء خارج الجزيرة العربية أو حتى في اللقاء الذي تم بين المسلمين والنجاشي في الحبشة. بينما هناك رأي بأن غزوة مؤتة التي كانت أول احتكاك عسكري تعد من البدايات للاستشراق ويرى آخرون أن أول اهتمام بالإسلام والرد عليه بدأ مع يوحنا الدمشقي وكتابه الذي حاول فيه أن يوضح للنصارى كيف يجادلون المسلمين. ويرى آخرون أن الحروب الصليبية هي بداية الاحتكاك الفعلي بين المسلمين والنصارى الأمر الذي دفع النصارى إلى محاولة التعرف على المسلمين.

ومن الآراء في بداية الاستشراق أنه بدأ بقرار من مجمع فيينا الكنسي الذي دعا إلى إنشاء كراسي لدراسة اللغات العربية والعبرية والسريانية في عدد من المدن الأوروبية مثل باريس وأكسفورد وغيرهما، ويرى الباحث الإنجليزي ب.إم هولت P.M. Holt أن القرارات الرسمية لا يتم تنفيذها بالطريقة التي أرادها صاحب القرار لذلك فإن القرار البابوي هنا لا يعد البداية الحقيقية للاستشراق.

وثمة رأي له عدد من المؤيدين أن احتكاك النصارى بالمسلمين في الأندلس هو الانطلاقة الحقيقية لمعرفة النصارى بالمسلمين والاهتمام بالعلوم الإسلامية ويميل إلى هذا الرأي بعض رواد البحث في الاستشراق من المسلمين ومنهم الشيخ الدكتور مصطفى السباعي.

ولاشك أن هذه البدايات لا تعد البداية الحقيقية للاستشراق الذي أصبح ينتج ألوف الكتب سنوياً ومئات الدوريات ويعقد المؤتمرات ، وإنما تعد هذه جميعا كما يقول الدكتور النملة "من قبيل الإرهاص لها وما أتى بعدها يعد من قبيل تعميق الفكرة ، والتوسع فيها وشد الانتباه إليها ".

فالبداية الحقيقية للاستشراق الذي يوجد في العالم الغربي اليوم ولا سيما بعد أن بنت أوروبا نهضتها الصناعية والعلمية وأصبح فيها العديد من الجامعات ومراكز البحوث وأنفقت ولا تزال تنفق بسخاء على هذه البحوث قد انطلقت منذ القرن السادس عشر حيث "بدأت الطباعة العربية فيه بنشاط فتحركت الدوائر العلمية وأخذت تصدر كتاباً بعد الآخر ..".

ثم ازداد النشاط الاستشراقي بعد تأسيس كراس للغة العربية في عدد من الجامعات الأوروبية مثل كرسي أكسفورد عام 1638 وكامبريدج عام 1632، ويضيف سمايلوفيتش بأن تأسيس الجمعيات العلمية مثل الجمعية الأسيوية البنغالية والجمعية الاستشراقية الأمريكية والجمعية الملكية الآسيوية البريطانية وغيرها بمنزلة

"الانطلاقة الكبرى للاستشراق حيث تجمعت فيها العناصر العلمية والإدارية والمالية فأسهمت جميعها إسهاماً فعّالاً في البحث والاكتشاف والتعرف على عالم الشرق وحضارته فضلاً عما كان لها من أهداف استغلالية واستعمارية".

وكان من المشروعات الاستشراقية المهمة إنشاء مدرسة اللغات الشرقية الحية في فرنسا برئاسة المستشرق الفرنسي سلفستر دي ساسي Silvester de Sacy التي كانت تعد قبلة المستشرقين الأوروبيين وساهمت في صبغ الاستشراق بالصبغة الفرنسية مدة من الزمن، نشاء الجمعيات الاسشتراقية وأيضاً بداية منظمة المؤتمرات العالمية للمستشرقين عام 1873 في عقد مؤتمراته السنوية.

دوافع الاستشراق

بداية نؤكِّد على أنه من اللازم – على حدِّ تعبير عباس العقاد – أن ننتقلَ من مجرد دارسين لِما قاله الغرب عنَّا إلى أن نعرفَ هذا الغرب ، وما دوافعُه ؟ وما أهدافه ؟ وأن نعرف المبادئ والفلسفات التي تَحكم حياة الغرب، كما علينا أيضًا أن نُواصل دراسة الغرب؛ لنعرفه تمامًا كما يَعرفنا.

إن الجذور الأصلية لِما يجده المرءُ اليوم من تصوُّرات خاطئة ومُشوَّهة عن الإسلام في أوروبا، والتي لم يَعُد الأوروبيون يُدركون أبعادها، إلا أنها ما تزال كامنة في وعْيهم – يمكن تتبُّعها على مرِّ التاريخ، ولكن على الذين يتصدَّون لدراسة الغرب أن يتسلَّحوا أولاً بمعرفة دوافعهم؛ حتى يكون في أيدينا الميزان والمعيار الذي نَحكم به على هذه المعرفة؛ فقد يتولَّى هذه الدراساتِ مَن لا يَملِك الرؤية الإسلامية أو التحامُل المسبق، فبدلاً من أن يدرُس الشرق دراسة تُضيف جديدًا للمعرفة الإنسانية ، تتحوَّل إلى هجوم ذميم أبعد ما يكون عن رُوح الموضوعية، ونُنَوِّه إلى أن الدوافع هذه ليست منفصلة ، بل متكاملة متداخلة ؛ لذا سوف نَستعرض أهم هذه الدوافع فيما يلي:

أولاً: الدافع الديني:

لا نحتاج إلى استنتاج وجُهدٍ في البحث لنتعرَّف إلى الدافع الأول للاستشراق عند الغربيين وهو الدافع الديني، فقد بدأ بالرهبان، ومن أشهر الرُّهبان الذين اهتموا بالدراسات العربية والإسلامية الراهب أدلارد أوف باث (1070 – 1135) ، وكذلك الراهب الشهير بطرس المبجل Peter the Venerable 1092 1156، رئيس دير كلوني cluny الشهير، وهؤلاء كان يهمهم أن يَطعنوا في الإسلام، ويُشوِّهوا محاسنه، ويُحرِّفوا حقائقه؛ ليُثبتوا لجماهيرهم التي تَخضع لزعامتهم الدينية أن الإسلام هو العدو الذى يتعيَّن عليهم محاربته، وذهَب رودي بارت Rudi Paret إلى أن الهدف الرئيس من جهود المستشرقين في بدايات الاستشراق في القرن الثاني عشر الميلادي وفي القرون التالية له: هو التبشير heralding، وعرَّفه بأنه:

"إقناع المسلمين بلغتهم ببُطلان الإسلام" ، وقد كان يومئذ الخَصم الوحيد للمسيحية في نظر الغربيين، ودينًا لا يستحق الانتشار.

إن الإسلام الذي انتشر في فترة زمنية وجيزة في بُقعة فسيحة من العالم، كان المشكلة البعيدة المدى بالنسبة لأوروبا؛ ولهذا قاوَمته مقاومة عنيفة في شتَّى المجالات، وكان رفضها إيَّاه يكاد يكون شاملاً من كل الجوانب.

فعَلوا ذلك على الرغم من سياسة التسامح العظيمة التي اتَّبعها المسلمون تجاه مسيحِيي الأندلس ، وفي هذه المسألة يَذكر فلاسكو إيفانيز: "أما مبدأ حرية ممارسة الشعائر – وهو حجر الزاوية لعظَمة كلِّ أمة – فكان العرب حريصين على تطبيقه، ففي كل المدن التي حكَموها، كانت كنيسة المسيحيين تقوم إلى جانب معبد اليهود" ، بل وفتَحت قرطبةُ أبوابَها على مِصراعيها أمام طلبة العلم والمعرفة من مختلف أرجاء أوروبا، فنهِلوا من معارفها، وتعلَّم الكثير منهم اللغة العربية، وقاموا بتدريس كتب العرب في جامعتهم ؛ كمؤلفات ابن سينا وابن رشد، وصارت تُدرَّس في تلك الجامعات حتي نهاية القرن الخامس عشر، ورغم ذلك صوَّروا المسلمين على أنهم قوم هَمَجٌ لصوص، وسفَّاكو دماء، يحثهم دينُهم على الملذات الجسديَّة، ويُبعدهم عن كل سُموٍّ رُوحي وخُلقي، ثم اشتدَّت حاجتهم إلى هذا الهجوم في العصر الحاضر، بعد أن رأوا الحضارة الحديثة قد زَعزعت أُسس العقيدة عند الغربيين، وأخذت تُشكِّكهم في كل التعاليم التي كانوا يتلقَّونها عن رجال الدين عندهم فيما مضى، فلم يجدوا خيرًا من تشديد الهجوم على الإسلام؛ لصرْف أنظار الغربيين عن نقْد ما عندهم من عقيدة وكُتب مقدسة، وهم يَعلمون ما تَركته الفتوحات الإسلامية الأولى، ثم الحروب الصليبية، ثم الفتوحات العثمانية في أوروبا بعد ذلك – في نفوس الغربيين من خوفٍ من قوة الإسلام، وكُرهٍ لأهله، فاستغلوا هذا الجو النفسي، وازدادوا نشاطًا في الدراسات الإسلامية.

ومما هو جدير بالذكر أن قرار إنشاء كرسي اللغة العربية في جامعة كامبردج عام 1636م، قد نصَّ صراحة على خدمة هدفين؛ أحدهما تجاري، والآخر تنصيري؛ فقد جاء في خطاب للمراجع الأكاديمية المسؤولة في جامعة كامبردج بتاريخ 9 مايو 1636م إلى مؤسس هذا الكرسي ما يأتي:

"ونحن نُدرك أننا لا نَهدف من هذا العمل إلى الاقتراب من الأدب الجيد، بتعريض جانب كبيرٍ من المعرفة للنور، بدلاً من احتباسه في نطاق هذه اللغة التي نسعى لتعلُّمها، ولكننا نهدف أيضًا إلى تقديم خدمة نافعة إلى الملك والدولة، عن طريق تجارتنا مع الأقطار الشرقية، وإلى تمجيد الله بتوسيع حدود الكنيسة، والدعوة إلى الديانة المسيحية بين هؤلاء الذين يعيشون الآن في الظلمات".

ومن هنا يتَّضح أنه قد كان هناك تجاوب متبادَل بين الاستشراق والتنصير، إن لم يكن هناك تماثُل في القصد بين المستشرق الأكاديمي والمنصِّر الإنجيلي.

الاستشراق بدأ بالرهبان، وهؤلاء كان هَمُّهم أن يطعنوا في الإسلام، ويشوهوا محاسنه، ويحرفوا حقائقه ليثبتوا لجماهيرهم التي تخضع لزعامتهم الدينية أن الإسلام – وهو الخصم الوحيد للمسيحية في نظرهم- دين لا يستحق الانتشار. وهناك الهدف التبشيري الذي لم يتناسوه في دراستهم العلمية، وهم قبل كل شيء رجال دين.

ثانيًا: الدافع الاستعماري.

انبثَق هذا الدافع من رحِمِ الحروب الصليبية، التي كانت أول تجربة استعمارية خاضَتها أوروبا خارج حدودها ضد الشرق؛ حيث أسقط الغرب الأوروبي ضَعفه على الشرق العربي الإسلامي، وحاول إيجاد حلٍّ لمشاكله المتفاقمة – دينيًّا واجتماعيًّا واقتصاديًّا – في هذه الحروب التي اجتاحَت جيوشها الشرقَ العربي المسلم، فبعد أن تفشَّى الفساد في الكنيسة والمجتمع، رأى البابا إربان الثاني 1099 - 1088) UrbanIIم)، أن من الضروري القيام بمغامرة مثيرة تضع العالم المسيحي بأجمعه أمام عملٍ وهدف مشترك، وكان خطابه في المجمع الكنسي في كليرمونت، والذي دعاه لجلسة استثنائية في عام 1095م – تعبيرًا صريحًا عن الواقع المتصدِّع الذي يعيشه الغرب المسيحي، والرغبة الواضحة في وضع هذا الغرب أمام هدف عام واحدٍ، فقد قال في خطابه أمام المجمع المذكور: "انهضوا وأَدِيروا أسلحتكم التي كنتم تَستعملونها ضد إخوانكم، ووجِّهوها ضد أعدائكم، أعداء المسيحية، إنكم تَظلمون اليتامى والأرامل، وأنتم تتورَّطون في القتل والاغتصاب، وتَنهبون الشعب في الطرق العامة، وتَقبلون الرَّشاوَى لقتْل إخوانكم المسيحيين، وتُريقون دماءهم دونما خوفٍ أو وجَلٍ أو خجلٍ، فأنتم كالطيور الجوارح آكِلَة الجِيَف، التي تَنجذب لرائحة الجِيَف الإنسانية النَّتنة، ضحايا جَشَعِكم، انهضوا إذًا، ولا تقاتلوا إخوانكم المسيحيين، بل قاتِلوا أعداءكم الذين استولَوا على مدينة القدس، حارِبوا تحت راية المسيح، قائدكم الوحيد، افتدوا أنفسكم، أنتم المذنبون المقترفون أحطَّ أنواع الآثام، وهذه مشيئة الله".

واندفَعت أوروبا نحو الشرق بين راغبٍ في الجنة وطامع في الثروة، والنَّهل من أنهار اللبن والعسل، أو أسيرٍ لشهوة القتل وحبِّ الانتقام، كان جنديهم يُنادي بأعلى صوته حين كان يَلبَس بِزة الحرب قادمًا لاستعمار بلاد الإسلام:

أُمَّاه، أتمِّي صلاتك، لا تبكي ، بل اضحكي وتأمَّلي ، أنا ذاهب إلى طرابلس فرِحًا مسرورًا ، سأبذِل دمي في سبيل سحْق الأمة الملعونة !

وبقدْر ما كانت خسارة أوروبا البشرية الفادحة، كانت مكاسبها كبيرة أيضًا؛ فقد عاد مَن عاش من هؤلاء بأحمال من نفائس الكتب والمخطوطات، التي تُعتبر وقود الحضارة ومستلزماتها، وإذا كان الجند الصليبيون وقْتها غير مؤهَّلين ولا مُسلحين بأدوات الأخذ والاقتباس، فلا أقل من أنهم شاهدوا بأعينهم أو لَمسوا

بأيديهم درجة الرُّقي والرخاء اللذين كان يَنعَم بهما الشرق في الوقت الذي كانت فيه أوروبا تَسبَح في بحر الظلمات، ولَمَّا انتهَت الحروب الصليبية بهزيمة الصليبيين، وبعد سقوط الأندلس ، عمِل الإسبان على متابعة إسقاط الدول الإسلامية ، والسيطرة على مُقدَّراتها الاقتصادية والدينية ؛ لذلك عمِلوا على الإلمام بطُرق حياتها وتركيب سكَّانها؛ مما أدَّى إلى ازدياد نشاط المبشِّرين والمستشرقين والرَّحَّالة ، وقدَّموا إلى الغرب دراسة شاملة عن المجتمع الإسلامي، ومواطن الضَّعف فيه، وقد عمِل بعض المستشرقين كمستشارين لوزارات خارجية دُوَلهم وكقناصل، وتجسَّسوا على المسلمين ؛ كما هو الحال بالنسبة للمستشرق الفرنسي هانوتو الذي كان يعمل مستشارًا لوزارة الاستعمار الفرنسية، وكذلك إدوارد هنري بالمر البريطاني، الذى تعلَّم العربية، وكان له نشاط علمي غزير، وقام برحلة إلى الشرق، وقد استغلَّت الحكومة البريطانية المعلوماتِ التي جمَعها عن الطرق والمسالك الصحراوية، واحتلَّت مصر 1882، وقد رجَع إليها اللورد اللنبي، وقد استعان بها في حملته الشهيرة من مصر إلى دمشق خلال الحرب العالمية الأولى (1914 - 1918)، وهناك دورٌ كبير قام به لورانس العرب الذي وصَل إلى دمشق عام 1917 مع الجيش البريطاني، وكان أول شيءٍ قام به: زيارة قبر صلاح الدين، ونزْع قلادة إعجابٍ كان قد وضعها على القبر الإمبراطور الألماني وليم الثاني في زيارة له للقبر، وأخَذها معه إلى بريطانيا، وما زالت حتى اليوم في المتحف الحربي البريطاني، ومعها ملاحظة مكتوبة من لورانس تقول: "لم يَعُد صلاح الدين بحاجة لها بعد الآن"، وكان لورانس قد درَس العربية في أكسفورد على يد مستشرق آخر مشهور هو ديفد جورج هوجارث.

في تلك الفترة أيضًا أسسَّت بريطانيا " القسم العربي في هيئة الإذاعة البريطانية " عام 1938، كما تأسَّس المجلس الثقافي البريطاني الذي فتَح فروعًا في كثيرٍ من العواصم العربية ؛ بهدف نشْر الثقافة البريطانية ، وإيجاد صلات مع الشعوب العربية على أوسع نطاق.

كان الهدف العسكري من وراء هذه المؤسَّسات، منافسة الإعلام الألماني والإيطالي الموجَّه للمنطقة العربية.

بعد ذلك بسنوات - أي: عام 1944 - تأسَّس في القدس أهم مركز للمستشرقين البريطانيين في الشرق الأوسط، وهو المركز الذي سيكون له صيتٌ كبير في العقود اللاحقة، وسوف تُثار حوله الشُّبهات والخلافات، إنه مركز الشرق الأوسط للدراسات العربية أو "ميكاس".

ولم يَدُمْ مركز ميكاس في القدس سوى أربع سنوات؛ حيث تَمَّ نقله قُبيل اندلاع حرب 48 إلى لبنان، وتحديدًا إلى قرية شملان؛ حيث أصبح يُعرَف باسمها، وهناك اشتَهر وتكوَّن اسمه والخبرات التي صار يُعرَف بها.

وهناك أيضًا المستشرق صمويل زويمر، وهو من أبرز المستشرقين الأمريكيين الذين خاضوا عملاً ميدانيًّا في منطقة الشرق الأوسط، خاصة جنوب العراق، ودول الخليج العربية، وهو المحرِّر للمجلة الإنجليزية الاستشراقية

الشهيرة (عالم الإسلام)، وقد اشتَهر بدوره الاستعماري وعدائه الشديد للإسلام، وله مؤلفات عديدة عن الإسلام في العالم، وعن العلاقات بين المسيحية والإسلام؛ منها: كتاب " يسوع في إحياء الغزالي"، وكتاب " الإسلام تحدٍّ لعقيدة " صدر سنة 1908م ، وكتاب "الإسلام"، وهو مجموعة مقالات قُدِّمت للمؤتمر التبشيري الثاني سنة 1911م بمدينة "لكناو" في الهند، ويُعتبر زويمر من أكثر المستشرقين توجُّهًا نحو التنصير، وتقديرًا لجهوده التبشيرية أنشأَ الأمريكيون وَقْفًا باسمه على دراسة اللاهوت وإعداد المبشرين.

وهكذا وجَدنا مدى مساهمة المستشرقين في الدور الاستعماري؛ فكان منهم الرَّحَّالة والمبشرون، والضبَّاط ورجال الإدارة الاستعمارية، واللغويون واللاهوتيون ، والإنثروبولوجيون ومؤرخو الحضارات ، والرومانسيون والأركيولوجيون ، ورجال المخابرات، والمؤرخون والاقتصاديون ، ومتدربو الشركات ، وخبراء الأسواق التجارية والسياسيون ؛ وذلك لكي تُسيطر على الشعوب الخاضعة لسلطانها ؛ مما مهَّد الأرض للاستعمار الغربي.

لقد أفاد الاستعمار من الاستشراق التقليدي، الذي كان بمثابة دليلٍ له في شِعاب الشرق وأوْدِيته، بما قدَّمه إليه من معارفَ، فالمعرفة – كما يقول الدكتور محمد البهي – تَمنح القوة، ومزيدٌ من القوة يتطلب مزيدًا من المعرفة، فهناك – باستمرار – حركة جدليَّة بين المعلومات والسيطرة المتنامية"، ولم يَهدأ لهم بالٌ، حتى استطاعوا السيطرة الاستعمارية الكاملة على العالم الإسلامي من المحيط إلى الخليج، وسخَّر الغربُ لتنفيذ هذه المهام أفواجًا عديدة من الباحثين في أوروبا، ووجَّههم للتخصص في التراث الإسلامي، وأمَّن لهم إمكاناتٍ مادية وبشرية ضخمة؛ من أجْل دراسة هذا التراث، واكتشاف الشعوب الإسلامية؛ لبَسْط سيطرته عليها، وبدَأت تتَّضح الأهداف الاستعمارية؛ بحيث أصبح الاستشراق في آخر الأمر أسلوبًا غربيًّا لفَهْم الشرق، والسيطرة عليه، ومحاولة إعادة تنظيمه وتوجيهه، والتحكُّم فيه، وباختصارٍ صار هذا المفهوم يَهدف إلى إخضاع الشرق للغرب، وأداة للتعبير عن التناقض والتبايُن بينهما.

وهذه الفكرة مأخوذة من ميشيل فوكو Michel Foucault، فأُسِّست مراكز للبحث والتحقيق، ودُور نشْر، ودوريَّات، وكليَّات، ومؤسسات متنوعة، تخصَّصت في تُراثنا، ومجتمعاتنا، وتاريخنا، وعاداتنا، كانت تُؤمِّن خدمات هائلة لوزارات المستعمرات في الدول الاستعمارية، حتى إن تزايُد الاهتمام بالتراث الإسلامي، وتحقيقه ونشره، وفهرسته، وترجمته – كان يتناسب طرديًّا بشكل ملحوظ مع تفاقُم ظاهرة الاستعمار في ديارنا، فيما كان يتراجع هذا الاهتمام في حالات انكفاء الاستعمار وتراجُعه وانحساره.

وهكذا اتَّجه الاستشراق المتعاون مع الاستعمار – بعد الاستيلاء العسكري والسياسي على بلاد المسلمين – إلى إضعاف المقاومة الرُّوحية والمعنوية في نفوس المسلمين ، وتشكيك المسلمين في معتقداتهم وتُراثهم ؛ حتى يتمَّ للاستعمار في النهاية إخضاعٌ تامٌّ للحضارة والثقافة .

ثالثًا: الدافع الاقتصادي.

ومن الدوافع التي كان لها أثرها في تنشيط الاستشراق، رغبة الغربيين في الاستيلاء على خيرات الشرق، والنَّهل من أنهار اللبن والعسل التي دعاهم اليها إربان الثاني مُشعِل الحروب الصليبية، وكذلك رغبة منهم في التعامل معنا لترويج بضائعهم، وشراء مواردنا الطبيعية الخام بأبخس الأثمان، ولقتْل صناعاتنا المحلية التي كانت لها مصانع قائمة مزدهرة في مختلف بلاد العرب والمسلمين.

ويذكر محمد كرد علي أن لوبون وميشو، ورامبو وسنيوبوس وبتي، يؤكدون أن الحروب عادت على الغرب بخيراتٍ لا تُحصى، ولو لم يكن منها غير تحطيم قيود التعصُّب الكنَسي، وما رآه الصليبيون عيانًا من تسامُح المسلمين – لكفى في فائدتها، وانتشَرت التجارة بعد الحروب الصليبية، وأخَذت أوروبا عن العرب عادات الفضيلة والمدنية ، وكما سبَق أن ذكرنا أن قرار إنشاء كرسي اللغة العربية في جامعة كامبردج عام 1636م، قد نص صراحة على خدمة هدفين؛ أحدهما تجاري، والآخر تنصيري، فقد جاء في خطاب للمراجع الأكاديمية المسؤولة في جامعة كامبردج بتاريخ 9 مايو 1636م إلى مؤسِّس هذا الكرسي ما يأتي:

"ونحن نُدرك أننا لا نَهدف من هذا العمل إلى الاقتراب من الأدب الجيد، بتعريض جانب كبيرٍ من المعرفة للنور، بدلاً من احتباسه في نطاق هذه اللغة التي نسعى لتعلُّمها، ولكننا نهدف أيضًا إلى تقديم خدمة نافعة إلى المِلك والدولة، عن طريق تجارتنا مع الأقطار الشرقية، وإلى تمجيد الله بتوسيع حدود الكنيسة، والدعوة إلى الديانة المسيحية بين هؤلاء الذين يعيشون الآن في الظلمات.

عندما بدأت أوروبا نَهضتها العلمية والصناعية والحضارية، وكانت في حاجة إلى المواد الأوليَّة الخام لتغذية مصانعها، كما أنهم أصبحوا بحاجةٍ إلى أسواق تجارية لتصريف بضائعهم – كان لا بدَّ لهم أن يتعرفوا على البلاد التي تمتلك الثروات الطبيعية، ويمكن أن تكون أسواقًا مفتوحة لمنتجاتهم، فكان الشرق الإسلامي والدول الإفريقية والآسيوية هي ملاذ هذه البلاد، فنشِطوا في استكشافاتهم الجغرافية، ودراساتهم الاجتماعية واللغوية والثقافية وغيرها، وهناك مَن يرى أن الهدف الاقتصادي كان هو الأساس في الاستشراق، وقد استغلَّ الدين والتنصير لتحقيق الأهداف الاقتصادية.

ولم يتوقَّف الهدف الاقتصادي عند بدايات الاستشراق، فإن هذا الهدف ما زال أحدَ أهم الأهداف لاستمرار الدراسات الاستشراقية ، فمصانعهم ما تزال تنتج أكثر من حاجة أسواقهم المحلية، كما أنهم ما زالوا بحاجة إلى المواد الخام المتوفرة في العالم الإسلامي ؛ ولذلك فإن بعض أشهر البنوك الغربية (لويد وبنك سويسرا) ، تُصدر تقارير شهرية هي في ظاهرها تقارير اقتصادية ، ولكنها في حقيقتها دراسات استشراقية متكاملة ؛ حيث يقدِّم التقرير دراسة عن الأحوال الدينية والاجتماعية ، والسياسية والثقافية للبلاد العربية الإسلامية ؛ ليتعرَّف أرباب الاقتصاد والسياسة على الكيفية التي يتعاملون بها مع العالَم الإسلامي.

رابعًا : الدافع السياسي.

وهنالك دافعٌ آخر أخذ يتجلَّى في عصرنا الحاضر، بعد استقلال أكثر الدول العربية والإسلامية، ففي كل سفارة من سفارات الدول الغربية لدى هذه الدول سكرتير أو ملحق ثقافي يُحسن اللغة العربية؛ ليتمكَّن من الاتصال برجال الفكر، والصحافة، والسياسة، فيتعرف إلى أفكارهم، ويبثَّ فيهم من الاتجاهات السياسية ما تريده دولته، وكثيرًا ما كان لهذا الاتصال أثرُه الخطير في الماضي، حين كان السفراء الغربيون – وما يزالون في بعض البلاد العربية والإسلامية – يَبثون الدسائس للتفرقة بين الدول العربية بعضها مع بعض، وبين الدول العربية والدول الإسلامية، بحجة توجيه النُّصح وإسداء المعونة، بعد أن درَسوا تمامًا نفسية كثيرين من المسؤولين في تلك البلاد، وعرَفوا نواحي الضَّعف في سياستهم العامة، كما عرَفوا الاتجاهات الشعبية الخطيرة على مصالحهم واستعمارهم.

خامسًا : الدافع العلمي.

ومن المستشرقين نفرٌ أقبلوا على الاستشراق بدافعٍ من حبِّ الاطلاع على حضارات الأُمم، وأديانها، وثقافاتها، ولُغاتها، وقاموا بترجمة أُمهات الكتب الإسلامية من العربية إلى الإسبانية والعِبرية واللاتينية، وانصبَّ الجهد على هذه الكتب لدراستها واستيعابها، وترجمة كتب الحديث والتفسير، وكذلك دراسة اللغة العربية ووضْع المعاجم لها، وبهذا أخذت أوروبا الظمْأى تَعُبُّ من منهل الإسلام ولا ترتوي، وما العصر الذي سمَّته أوروبا بعصر النهضة، أو عصر الأيديولوجية العقلانية العَلمانية، إلا عصر امتداد وتضخُّم العقل الأوروبي بعطاءات الإسلام الحضارية، التي تحوَّلت فيما بعدُ إلى مرتكزات في الفكر الأوروبي، وفرْز النظريات والأفكار والعلوم الإسلامية.

وانكبَّ الغرب على دراسة التراث العربي والإسلامي، ومن بعض جُهدهم ما قام به: توماس إربنيوس، نشر الجمل لعبدالقاهر الجرجاني بروما 1617م، وسلفستر دي ساسي الفرنسي (ت 1838م)، نشر كليلة ودمنة، وألفيَّة ابن مالك، ووصْف مصر؛ لعبدالقادر البغدادي، وترجَم بعض الكتب العربية إلى الفرنسية.

وفريتس كرنكوف (ت 1953م)، الذي حقَّق الأصمعيات، ومقامات بديع الزمان الهمَذاني، وجمهرة اللغة؛ لابن دريد، وليفي بروفنسال الفرنسي (ت 1956م) محقِّق الروض المعطار في خبر الأقطار؛ للحِمْيَري، وجمهرة أنساب العرب؛ لابن حزم ، وكترمير الفرنسي تلميذ دي ساسي (ت 1857م)، نشَر مقدمة ابن خلدون، ومنتخبات من أمثال الميداني، وفرايتاج الألماني (ت 1861م)، الذي نشر حماسة أبي تمام، وأمثالَ الميداني، ورينهارت دوزي الهولندي (ت 1883م)، الذي وضع معجمًا عربيًّا يُعد ذيلاً للمعاجم العربية؛ إذ جمع فيه من الألفاظ العربية ما لم يَرِد فيها، ونولدكه الألماني (ت 1931م)، ألَّف تاريخ العرب والفُرس في عهد الساسانيين، وتاريخ القرآن، وحقَّق تاريخ الطبري، وديوان عروة بن الورد، وكارل بروكلمان، ورجيس

بلاشير، ولكليهما تاريخ الأدب العربي، وبرجشتراسر له: الإيضاح في الوقف والابتداء؛ لأبي بكر بن الأنباري، ومعاني القرآن؛ للفرَّاء، وطبقات القرَّاء؛ لابن الجزري.

وأنا ماري شميل المستشرقة الألمانية التي أنصَفت الإسلام، لها من المؤلفات: مختارات من مقدمة ابن خلدون بالألمانية 1951م، والأبعاد الروحية في الإسلام 1975م، والملك لك بالألمانية 1978م، ويَشمل مختارات من الأدعية الإسلامية المأثورة، ومحمد رسول الله بالألمانية 1981م، ونجد أيضًا المؤرخ الشهير صاحب كتاب: "تاريخ الدعوة إلى الإسلام"، السير توماس آرنولد، ويُعَد هذا الكتاب من أفضل الوثائق التي يُمكن أن يستفيد منها الباحثون في تاريخ الدعوة الإسلامية.

وقد أفاد الاستشراق الثقافة العربية فوائدَ عديدةً؛ منها: نشْر الثقافة العربية في أوروبا، وترجمة كثيرٍ من كتب التراث العربي إلى اللغات الأخرى، وكذا تصحيح فكرة الشعوب الأوروبية عن العرب والإسلام، وكذلك نشْر كثيرٍ من كتب التراث نشرًا علميًّا، أضِف إلى ذلك كتابة العديد من المؤلفات النفيسة عن الحضارة العربية والإسلامية، ويُمكن زيادة الاستفادة من بعض العلماء المستشرقين في كثير من الميادين الثقافية في البلاد العربية".

ورغم أنه قد صارَت لبعض هذه الكتب نشرات أخرى، ربما تكون أفضل، ولكن عندما كان يجري نشر هذه النصوص في ليدن Leiden أو لايبزيج أو غيرها – ما كان أحد يستطيع مجاراة هؤلاء في المعرفة والدقة، لكن لندَعْ هذا جانبًا لبعض الوقت، ولننظر في القيمة الذاتية للنصوص المنشورة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، فهل يمكن مجادلة فلايشر مثلاً في أهمية نشرته لتفسير البيضاوي، بدلاً من الكشاف للزمخشري؟! أو يمكن المجادلة في أهمية نشر كتاب الفهرست؛ لابن النديم، الذي شكَّل أقدم وأهمَّ سِجل للتأليف العربي ولشجرة العلوم حتى أواخر القرن الرابع الهجري؟!

وقد ظهر في فترة فلايشر وفيشر نفسها عمالقةٌ في التحقيق والنشر، بين الألمان ومجاوريهم الهولنديين والنمساويين، الذين درسوا عندهم وعاشوا معهم، فنجد "فيستنفلد" الذي نشَر "معجم البلدان"؛ لياقوت الحموي، ونشر السيرة النبوية؛ لابن هشام، وتواريخ مكة؛ للأزرقي والنهروالي وآخرين، ووفَيات الأعيان؛ لابن خلِّكان، وعندنا الآن نشرات أفضل للسيرة النبوية ولتواريخ مكة، ولوفَيَات الأعيان، لكن ليست لدينا نشرة أفضل من نشرته لمعجم البلدان حتى الآن، رغم الاستنساخات والتقليدات الكثيرة، وسار الهولندي دي خويه تلميذ دوزي، على خُطا "فيستنفلد" في الاهتمام بنشر النصوص الجغرافية والتاريخية، فقد نشَر فتوح البلدان؛ للبلاذري نشرة ممتازة عام 1866، ثم عمِل على "المكتبة الجغرافية العربية"، فنشَر منها عشرة أجزاء، لا تزال مرجعًا للباحثين، بيد أن إنجازه الأهم – رغم عظَمة كل ما نُشِر – نشْرُه بالتعاون مع آخرين لنص تاريخ الطبري في خمسة عشر مجلدًا على مدى ثلاثين عامًا، ولا تزال هذه النشرة أفضل النشرات، رغم

النقص في المخطوطات والمعلومات، ولا أحسَب أن عملاً استشراقيًّا نشريًّا آخر يُضاهي نص الطبري من حيث الأهمية وطريقة النشر، ربما باستثناء طبقات ابن سعد، التي نشَرها بالتعاون مع إدوارد سخاو، بعد اهتمام له معروف بالبيروني من خلال كتابه عن الهند (تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة للعقل أو مرذولة)، وقد أفاد الفيلولوجيون الكبار في نشْر هذه المصادر التي لا غنى عنها لمن يريد التعرُّف على تاريخ المنطقة العربية في العصور الوسطى، من معرفتهم العميقة باللغة العربية، وباللغات السامية الأخرى، ثم لأن المخطوطات العربية التي كانت موجودة بأوروبا، أو كانت لا تزال تتدفَّق عليها – وُضِعت لها آنذاك فهارسُ علمية صارت بحد ذاتها – بسبب دقَّتها واستنارتها – مصادرَ للتاريخ الأدبي والديني، ويأتي في طليعة واضعي الفهارس العلمية: وليم أكوارت، الذي وضَع فهارس مكتبة الدولة ببرلين في عشرة أجزاء، وهو معروف بالاهتمام بالشعر الجاهلي، وقد نشَر المعلقات نشرة علمية، وكان يكتب اسمه على كتبه "وليم بن الورد البروسوي"؛ تحبُّبًا للعرب، واعتزازًا بالسَّير على منوالهم في اللباس والكلام ، وأيضًا من هذه الأعمال العلمية الهامة: كتاب كلود كاهن، المؤرخ الفرنسي المعروف، بعنوان: "مقدمة لتاريخ العالم الإسلامي في القرون الوسطى"، المنشور بالفرنسية 1983، وهو كتاب شامل في العلم الاستشراقي عن الإسلام والعرب في مختلف اللغات، ويضم أسماء المصادر والوثائق الأركيولوجية والمصكوكات واللوائح، التي تَشمل المراجع الأجنبية والعربية الإسلامية.

وسائل المستشرقين:

1-**التعليم الجامعي والبحث العلمي:**

بجمع المخطوطات العربية ,والتحقيق والنشر والترجمة ,والاشتراك حتى في المجامع اللغويه والعلميه أمثال جيب في المجمع اللغوي بمصر,وجويدي الإيطالي بالمجمع اللغوي بدمشق .

2– **التاليف والكتابة :**

وهي اخطرها فالفوا الكثير من الكتب التي تطعن في الإسلام واخطر هذه الكتب ,دائرة المعارف الإسلامية – قاموس المتحد – الموسوعة العربية المبشرة

3– **انشاء الجمعيات** : مثل جمعية المستشرقين الفرنسيين والامريكيين

4– **الندوات والمؤتمرات والدورات العلمية**

مناهج المستشرقين

1 – منهج المطابقة و المقابلة

وهو منهج دراسة النصوص والتحقق منها وقد استخدمه المستشرقون في دراسة النصوص الإسلامية و برعوا من هذه الناحية وأجادوا، وكان لهم في ذلك جهد كبر وفضل في استخراج العديد من المخطوطات وقد ساعدهم على ذلك معرفتهم للعديد من اللغات واطلاعهم على المخطوطات ووصولهم إلى أماكنها، واكتشافهم للعديد من النقوش والآثار وقد برعوا في جمع هذه المخطوطات ومقابلتها والتوفيق بينها كما برعوا في الدقة في الترجمة وتحقيق النصوص وإرجاعها إلى مصادرها الأصلية، ولكن هذه الطريقة لم تسلم من الخطأ فإن غالب المستشرقين قد رسخت في أذهانهم فرضيات علمية وأحكام مسبقة وهم يحاولون إثباتها دائماً وتطويع النصوص للبرهنة على صحتها.

2 – منهج الأثر والتأثير

ويعني هذ المنهج النزع إلى رد كل عناصر الدين الإسلامي بعد تجزئتها إلى اليهودية والنصرانية أو إليهما معاً ،أو إلى غيرهما من الحضارات والأديان وقد كان المستشرقون اليهود – أمثال جولد تسيهر وشاخت وجايجر وبرنارد لويس – أشدُّ حرصاً على ادِّعاء استمداد الإسلام من اليهودية وتأثيرها فيه، أما المستشرقون المسيحيون فيجرون وراءهم في هذه الدعوى؛ إذ ليس في المسيحية تشريع يستطيعون أنْ يزعموا تأثُّر الإسلام به وأخذه، منه، وإنما فيه مبادئ أخلاقية زعموا أنها أثرت في الإسلام، ودخلت عليه منها وهذا الادعاء مبني على عناصر التشابه بين الإسلام واليهودية والنصرانية وغالبهم يحاولون إثباته بطرق مختلفة منها تلقي النبي صلى الله عليه وسلم عن اليهود والنصارى ابتداء من ورقة بن نوفل وحتى يهود المدينة ، وهذا العدد الكبير من المستشرقين لم يلتفت إلى الإسلام على أنه دين مستقل ذو منظومة شاملة ومتناسقة ، وهذا الإدعاء بالنزعة التأثيرية يشكل خطورة كبيرة على وحدة الفكر الإسلامي وأصالته لأنها تقضي على الفكر الإسلامي قضاء مبرماً ، ونرى هذه النزعة ظاهرة في كتابات عدد كبير من المستشرقين فكلما وجدوا تشابه أو اتفاق بين الإسلام واليهودية والنصرانية أو أعجزهم رد شيء مما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم برز لديهم هذا المنهج في ادعاء أخذه واستقائه الإسلام عن الديانات السابقة أو الحضارة اليونانية حتى وإن كان هذا التشابه من نسج عقولهم ولا أصل له في الواقع وفي هذا يقول جولد تسيهر: (تبشير النبي العربي ليس إلا مزيجاً منتخباً من معارف وآراء دينية عرفها واستقاها بسبب اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية وغيرها التي تأثر بها تأثراً عميقاً)

و يظهر كذلك اتهامه النبي صلى الله عليه وسلم بالكذب في ادعاء النبوة وأنها فكرة استمدها مما سمع عن الديانات السابقة فكتب في الدائرة في مادة جبرائيل : (ولجبريل شأن هام في القرآن وقد اصطنع النبي القصة التي تقول بأن هذا الرسول السماوي يتحدث إلى الأنبياء وأعتقد أنه تلقى رسالته ووحيه منه)

ويرى مونتقمري وغيره من المستشرقين كذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ عن ورقة بن نوفل في بداية الدعوة وتأثر بيهود المدينة حين هاجر إليها ومن ذلك قوله : (ويبدو ورقة من بين الذين اتصل بهم محمد لسبب معرفته بكتب المسيحية المقدسة ولا شك أن المقطع القرآني حين ردده محمد قد ذكره بما هو مدين به لورقة ...ولهذا فمن الأفضل الافتراض بأن محمد قد عقد صلات مستمرة مع ورقة منذ وقت مبكر وتعلم أشياء كثيرة وقد تأثرت التعاليم الإسلامية اللاحقة كثيراً بأفكار ورقة) وغيره مما تفيض به مؤلفاتهم من محاولة الربط بين الإسلام واليهودية والنصرانية وزعم تأثر الإسلام بها.

وهذا التأكيد والإصرار على إثبات تأثر الإسلام بالديانات السابقة قد يرجع مع الرغبة في تشويه الإسلام إلى (كون هذا المنهج قد طبق بصورة صارمة في بيئتهم ذلك أن النهضة الأدبية الأوروبية قد تأسست بناء على الحضارة اليونانية وما أنشئ مذهب فكري وديني جديد إلا ووجد له نظير في الحضارة اليونانية القديمة ومن خلال هذا الحكم تم تطبيق هذا المنهج على الفكر الإسلامي دون أدنى اكتراث بخصوصية الفكر الإسلامي ذي الأصول والأسس الواضحة المؤسسة على معايير دينية وبيئية أصيلة مستمدة من القرآن والسنة النبوية) وهذا الإصرار منهم على إثبات التأثر و كأنَّ الله لم يرسل أنبياء قبله يؤمنون بهم حتى يصعب عليهم تفسير ظاهرة الوحي، ولما كانوا كلهم ما بين يهود ونصارى يعترفون بأنبياء التوراة، وهم كانوا أقل شأناً من محمد صلى الله عليه وسلم في التاريخ والتأثير والمبادئ التي نادي بها، كان إنكارهم لنبوَّة النبي صلى الله عليه وسلم تَعَنُّتاً مبعثه التعصُّبُ الديني الذي يملأ نفوس أكثرهم كرُهبان وقسس ومُبَشِّرين.

3 – المنهج التاريخي

وهو عبارة عن ترتيب وقائع تاريخية أو اجتماعية وتبويبها وترتيبها ثم الإخبار عنها والتعريف بها باعتبارها الظاهرة الفكرية ذاتها وقد خلطوه بالمنهج الذاتي , فجاءت دراستهم ذاتية أكثر منها تاريخية، والمنهج التاريخي قد يكون عاماً يشمل دراسة كل الظواهر السياسية والاقتصادية والاجتماعية والقانونية للمجتمع وقد يكون خاصاً بجزء معين مقتصراً عليه، والمستشرقون حين طبقوا هذا المنهج على الحضارة الإسلامية فإنهم صنفوا التاريخ الإسلامي ومفكريه على نمط العقلية الغربية فهم حين يتحدثون عن مفكري الإسلام كابن رشد والغزالي فإنهم يصنفونهم بأنهم أصحاب مدارس كالغربيين وهذا غير صحيح بل بعيد كل البعد عن التاريخ الإسلامي، ونتائج تطبيق هذا المنهج ليست صحيحة غالباً كما أنه يؤدي إلى إنكار نبوة محمد صلى الله

عليه وسلم وعدم صدقية الوحي حيث يفسر كل شيء على أنه ظاهرة تاريخية ذات أصول مادية وهو بذلك يقوم على فكرة مسبقة وتمييز حضاري وتعصب ديني.

4 – المنهج الإسقاطي

يتمثل هذا المنهج في خضوع الباحث إلى هواه وعدم استطاعته التخلص من الانطباعات التي تركتها عليه بيئته الثقافية المعينة وعدم تحرره من الأحكام المسبقة التي يكونها عن موضوع بحثه ويعني تفسير التاريخ بإسقاط الواقع المعاصر المعاش على الوقائع التاريخية الضاربة في أعماق التاريخ فيفسرونها في ضوء خبراتهم ومشاعرهم الخاصة وما يعرفونه من واقع حياتهم ومجتمعاتهم، وهم بذلك يحاولون إثبات الصور المرسومة في أذهانهم حتى وإن استحال وقوعها وينفون الحقائق الواقعة التي لا تتصورها أذهانهم "فمثلاً واقع الغربيين يدل على تنازعهم على السلطة وإن كان الأمر يبدو في الحاضر انتخابات وحرية اختيار فجاء المستشرقون إلى بيعة الصديق رضي الله عنه فصوروها على أنها اغتصاب للسلطة أو تآمر بين ثلاثة من كبار الصحابة هم والله أنقى البشر بعد الأنبياء والرسل وهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنهم أجمعين فزعموا أن هؤلاء الثلاثة تآمروا على أن يتولوا الخلافة الواحد تلو الآخر.

وسموا المنافقين بالمعارضة وغير ذلك من الإسقاطات التي تدل على سوء طوية وخبث وبعد عن المنهج العلمي ، (كما قاموا بذات التفسير لهجرة المسلمين للحبشة بنفس الطريقة فجعلوا دافعها رغبة المسلمين في مساعدة عسكرية وتحويل الحبشة إلى قاعد لمهاجمة تجارة مكة ومحاولة لإيجاد طريق جديد لتجارة الجنوب لا يمر بمكة ووجود خلافات حادة في الرأي داخل صفوف المسلمين ويُبني عليه أن هذه الهجرة لم تكن بأمر النبي صلى الله عليه وسلم دون النظر لكل الأسباب والدوافع الوجيهة والحقائق التاريخية وذلك بهدف الوصول إلى النتيجة التي يريدونها وهي أن النبي صلى الله عليه وسلم لم ينجح في بداية دعوته مع أصحابه) ومن إسقاطهم الرؤية العقلية الغربية المعاصرة على سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ما زعمه مونتقمري وات أن تحنثه صلى الله عليه وسلم في غار حراء يمكن أن يكون فراراً من حر مكة خلال فصل الصيف للذين لا يستطيعون التوجه للطائف مسقطاً خيالاته وأوهامه المبنية على واقعه المعاش ليبرر الحادثة مبعداً لها عن ما ذكر في كتب السنة عن بدايات نبوته صلى الله عليه وسلم.

ومن صور الإسقاط الحكم على وقائع السيرة بالنظرة التاريخية المادية السائدة في المجتمع الغربي ومن ذلك ما قاله بعضهم عن أحداث السيرة النبوية: (من وجهة نظر المؤرخ بعض هذه الوقائع موضع جدل ويمكن تسميتها بذات الطابع الفقهي ولاشك أنها ليست حقيقية بالمعنى الواقعي للمؤرخ مشيراً إلى حادثة شق صدر النبي صلى الله عليه وسلم وهو صغير و بحيرى الراهب لينفي بذلك البشارة السابقة بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم كما يفسرون كذلك الغزوات الإسلامية بمنظور مادي اقتصادي بحت.

ومن صور الإسقاط عند المستشرقين القول بالانشطارية : وتعني الفصل بين القيم المتكاملة في الفكر الإسلامي والقول بعجزها عن التفاعل والترابط وهم حين يقولون بذلك فهم يعون تماماً مدى تكامل الفكر الإسلامي وترابط قيمه ومُثله ومختلف جوانبه ولكنهم يحاولون زعزعته وإسقاط روح الانشطارية السائدة في الفكر الغربي والمنطلقة من الفصل بين الدين والدنيا على الواقع الإسلامي وتطبيقها عليه، ولعل أبرز صورها التي يحاولون زرعها في المجتمع المسلم هو الدعوة إلى الانفصال بين الحاضر والماضي والذي يعتبر من خصائص المجتمع الغربي وطريقهم إلى ذلك رمي التراث الإسلامي بالنقائص والمهانة ومحاولة تشويه صورته في أذهان أبناءه. وهذه المنهجية خاضعة للهوى وبالتالي لا يرجى منها إعطاء نتائج صائبة حول الإسلام وحضارته وعلومه .

5 – المنهج الانتقائي

عرف عن كثير من المستشرقين في كتاباتهم حول السيرة النبوية الشريفة وحول التاريخ الإسلامي أنهم ينتقون بعض الأحداث والقضايا ويكتبون عنها ويهملون غيرها كما أنهم يشككون في أمور من المسلمات في التاريخ الإسلامي وذلك لإثارة الشكوك في معطيات السنة والتاريخ ومن صور الانتقائية عندهم :

– الانتقائية في المصادر والروايات والأخذ والرد منها بما يتناسب مع النتائج المقررة لديه ومن ذلك ما يوردونه عن أسباب حادثة الهجرة للحبشة و عن قصة (الغرانيق) المختلقة وعن زواج النبي صلى الله عليه وسلم من زينب بنت جحش ،ومناقشة هذه الأحداث بأسلوب جازم بصحتها معتمداين على مصادر تورد الضعيف و الموضوع مع الصحيح مفسرين لها حسب أهوائهم دون الالتفات لكتب السنة التي بينت وهن هذه الروايات سنداً ومتناً

– البحث على الضعيف والشاذ من الروايات ويركزون على الأخذ من الكتب التي تجمع الروايات المختلفة أو الضعيفة دون بيان لصحتها فينتقون منها مايوافق أهوائهم ومن ذلك رواية الغرانيق الموضوعة والتي أوردها عدد من المستشرقين باعتبارها أكيدة وغيرها من الأحاديث الموضوعة التي تعج بها كتب المستشرقين. اعتماد المصادر غير الموثوقة لدى المسلمين أو الرجوع إلى مصادر غير متخصصة وهو من العيوب المنهجية الظاهرة في الدراسات الاستشراقية حيث أنهم يعمدون دائماً إلى المصادر غير الموثقة عند المسلمين فيجعلونها هي المصدر الأساس لدراساتهم وبحوثهم ومن ذلك أنهم يرجعون إلى كتاب مثل كتاب 'الأغاني' للأصفهاني فيجعلونه مرجعاً أساسياً في دراساتهم للتاريخ الإسلامي وللمجتمع الإسلامي، كما يعمدون إلى المراجع التي ضعفها العلماء المسلمون أو طعنوا في أمانة أصحابها فيجعلونها أساساً لبحوثهم أو كان أصحاب تلك المراجع منحازين إلى فئة معينة أو متعصبين كما يرجعون كثيراً إلى مصادر غير متخصصة لبحث المسائل الشرعية كرجوعهم للفهرست لابن النديم لبحث مسألة السحر وحكمها الشرعي

النفي والافتراض والمبالغة في التشكيك غير المنهجي فنجده يكثر في كتبهم استخدام "يصعب تصديق ذلك" و"إذا أمكن قبول هذه الرواية" و "مما يدعو إلى الشك" و" لا شيء يثبت أمام النقد والتخمين الذي مررنا به " وغيرها من عبارات التشكيك والنفي واتهام المصادر الإسلامية بأنها وضعت لتمجيد أشخاص بعينهم ومما يلاحظ عندهم التشكيك فيما هو ثابت معلوم وإثبات ما هو مشكوك فيه ومن ذلك تشكيكهم الشديد في إمكانية تطبيق الفقه الإسلامي وادعائهم أن ما أورده ابن سعد من الأنساب في الطبقات هو محض ادعاء واختلاق وغير ذلك ولا يوجد أساس علمي أو منطقي لكل هذا الرد أو التشكيك.

الاهتمام بالفرق والأقليات وأخبار الصراعات والبحث عن الوثنيات والتاريخ السابق لبعثة الرسول صلى الله عليه وسلم بهدف تشويش الحضارة الإسلامية، و تمجيد أهل الضلال والبدع وذلك بالدفاع عنهم ونصرة مواقفهم وآراؤهم ومدحهم وبتحقيق كتبهم وإظهارها ومن ذلك تحقيقهم ونشرهم لأخبار الحلاج والبلغة في الحكمة لابن عربي وطبقات الصوفية وكتب ابن سينا والحارث المحاسبي وغيرهم من أهل المذاهب الضالة ومن ذلك مدحهم لكتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني و ألف ليلة وليلة واعتبارهم هذه الكتب أهم المراجع الشرعية والتاريخية و الأدبية والحضارية في عصرها والأخذ بما فيها على أنه من المسلمات معرضين عن حكم أئمة علماء المسلمين عليها ويظهر ذلك عند النظر فيما كتب في دائرة المعارف عن هؤلاء المبتدعة وما كتب عن أئمة أهل السنة المحققين.

6 – مخالفة المنهج العلمي والخضوع للهوى

فالمستشرق كثيراً ما يبدأ بحثه وأمامه غاية حددها، ونتيجة وصل إليها مقدماً، ثم يحاول أن يثبتها بعد ذلك، ومن هناك يكون دأبه واستقصاؤه الذي يأخذ بأبصار بعضهم، فإن المستشرقين لم يكونوا ملتزمين دائماً بما يحددونه من منهجية علمية للسير عليها وفي ذلك يقول منقمري ووات : (وإذا حدث أن كانت بعض أراء العلماء الغربيين غير معقولة عند المسلمين فذلك لأن العلماء الغربيين لم يكونوا دائماً مخلصين لمبادئهم العلمية وأن آراءهم يجب إعادة النظر فيها من وجهة النظر التاريخية الدقيقة) .

ومن صور مخالفة المنهج العلمي في البحث والتحري قيام بعض المستشرقين بتحريف كثير من الحقائق التي تخص الإسلام ورسالته وتاريخه دون نظر في ما ثبت بالنصوص والنقول المتواترة فيها، فمن ذلك مثلاً أن بعضهم أنكر عالمية الإسلام وبخاصة فيما يتعلق برسائل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الملوك والأمراء خارج جزيرة العرب كرسائله إلى هرقل والمقوقس وكسرى ،دون دلائل أو براهينعلى ذلك وهذا ظاهر فيما كتبه جوستاف لوبون في كتابه 'تاريخ العرب' حيث زعم أن الرسول صلى الله عليه وسلم رأى أنه كان لليهود أنبياء وكذلك للنصارى فأراد أن يكون للعرب كتاب ونبي ، وكأن الرسالة والنبوة أمر يقرره الإنسان بنفسه.

ومن صور التزييف ما أورد ديورانت في رواية عن أموال الزبير بن العوام رضي الله عنه فقال "وكان للزبير بيوت في عدة مدن، وكان يمتلك ألف جواد وعشرة آلاف عبد..." والخبر كما أوردته المصادر الإسلامية الموثقة هو كالآتي "كان للزبير ألف مملوك يؤدون إليه خراجهم كل يوم، فما يُدخل إلى بيته منها درهماً واحداً، يتصدق بذلك جميعه" وهو هنا أضاف ألف جواد أقحمها في الخبر وليس لها أساس ثم إن في الخبر أن الزبير رضي الله عنه يتصدق بكل دخلهم لا يدخل بيته منها شيء فلم يورده وهذا خرق بين واضح للأمانة العلمية

كيف نقاوم الاستشراق:

الخطه في مقاومة الاستشراق عند الشيخ أبو الحسن الندوي:

1-عنصر إيجابي : يتمثل حول قيام علماء الإسلام بالكتابه حول الموضوعات العلميه وتقديم المعلومات الصحيحة عن الإسلام.

2-عنصر سلبي : قيام مفكري الإسلام باستعراض مؤلفات المستشرقين العلميه ومحاسبتها في ضوء الحقيقة والواقع.

عند محمد البهي:

- قيام المؤتمر الإسلامي بالمساهمة في تنقية الحياة الاسلامية من رواسب الاستشراق.
- إعادة تقويم القيم الاسلامية عند المسلمين بعد زعزعتها من طرف المستشرقين.
- أن تكون هناك مكاتب اتصال تكون ملحقه بسفاراتنا بالخارج لتتبع كتابات المستشرقين والمبشرين وموافاتنا بها.

الخطه التي وضعها محمود حمدي زقزوق:

-اعداد موسوعه لرد على المستشرقين.

-انشاء موسوعة اسلامية عالميه تقوم على شؤون العالم الإسلامي.

-اعداد دائرة معارف اسلامية جديده ترد على موسوعة المستشرقين.

-انتاج ترجمه اسلاميه لمعاني القرآن الكريم.

-انشاء دار نشر اسلاميه.

-انشاء وكالة انباء اسلامية .

أهم المصادر والمراجع

الاستشراق والمسْتَشْرِقُونَ ما لهم وما عليهم المؤلف: مصطفى بن حسني السباعي (المتوفى: 1384هـ)

موقف الاستشراق من السُنَّة والسيرة النبوية المؤلف: أكرم بن ضياء العمري

الاستشراق وموقفه من السنة النبوية المؤلف: فالح بن محمد بن فالح الصغير

- الاستشراق والتبشير المؤلف: أ. د. محمد السيد الجليند

المستشرقون والتنصير المؤلف : علي بن إبراهيم الحمد النملة

- المستشرقون والسيرة النبوية المؤلف: عماد الدين خليل

المستشرقون والسُنَّة المؤلف: الأستاذ الدكتور سعد المرصفي

المستشرقون والتراث المؤلف : عبد العظيم محمود الديب (المتوفى: 1431هـ)

المستشرقون في الميزان المؤلف : أبو مجاهد عبد العزيز بن عبد الفتاح بن عبد الرحيم بن الملاَّ محمد عظيم القارئ المدني

المستشرقون والمبشرون في العالم العربي والإسلامي المؤلف: الشيخ / إبراهيم خليل أحمد

المبشرون والمستشرقون في موقفهم من الإسلام المؤلف: محمد البهي (المتوفى: 1402هـ)

دحض دعوى المستشرقين أن القرآن من عند النبي صلى الله علية وسلم المؤلف :سعود بن عبد العزيز الخلف

رسم المصحف العثماني وأوهام المستشرقين في قراءات القرآن الكريم المؤلف: الدكتور/ عبد الفتاح إسماعيل شلبي

مزاعم المستشرقين حول القرآن الكريم المؤلف: الأستاذ الدكتور محمد مهر علي (المتوفى: 1428هـ)

نظرةُ المستشرقينَ للسنَّةِ النبويَّةِ المطهَّرَةِ (شبهاتٌ وردودٌ) المؤلف: مثنى الزيدي

دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين المؤلف: محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة

التدوين المبكر للسنة بين الدكتور صبحي الصالح والمستشرقين – قراءة في كتاب «علوم الحديث ومصطلحه» المؤلف : الدكتور ماجد أحمد نيازي الدرويش ، أستاذ الحديث وعلومه في جامعة الجنان – طرابلس الناشر : بحث مقدم إلى المؤتمر الدولي حول معالم التجديد في فكر الدكتور صُبْحِي الصَّالِح – رَحِمَهُ اللهُ – (المنعقد في جامعة الجنان 3 و 4 تشرين الثاني 2006 م).

إنتاجُ المستشرقينْ وأثَره في الفِكر الإسلاميّ الحَدِيث المؤلف : مالك بن الحاج عمر بن الخضر بن نبي (المتوفى: 1393هـ)

دراسات في تميز الأمة الإسلامية وموقف المستشرقين منه المؤلف : إسحاق بن عبد الله السعدي

الرد على مزاعم المستشرقين جولد تسهير ويوسف شاخت ومن أيدهما من المستغربين المؤلف: عبد الله بن عبد الرحمن الخطيب .

الاسلام والمستشرقون للإمام أبي الحسن الندوي .

الأساليب الحديثة في مواجهة الاسلام للسيد سعد الدين السيد صالح .

جهود الاستشراق الروسي في مجال السنة والسيرة المؤلف: سليمان بن محمد الجار الله

دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين ، للشيخ محمد الغزالي السقا

. المستشرقون والدراسات القرآنية ، الدكتور محمد حسين علي الصغير ، أستاذ الدراسات القرآنية بجامعة الكوفة ، دار المؤرخ العربي ، بيروت ،لبنان .ط1 ، 1999م

. الاستشراق بين دعاته ومعارضيه : هاشم صالح ، دار الساقي ،بيروت ،ط2 ،2000م

. في نقد الاستشراق ، المحور : أركون / صالح ، د محمد المزوغي ، دار إفريقيا الشرق ، الدار البيضاء المغرب 2017 م